[323] ا مالك الملك قال المفسّرون : إنّ الآية الاُولى نزلت بعد فتح مكّة ، أو حينما كان النبي الكريم ((صلى ا عليه وآله وسلم)) مشغولا بحفر الخندق قُبيل معركة الأحزاب حيث بشّر المسلمين بفتح بلاد فارس والروم وقد إعتبر المنافقون ذلك تخيّلات وتكهّنات وتشبّثاً بالمحالات(1). وفي هذه الأثناء نزلت الآية المذكورة وأنذرت الجهلاء بأنّ ا مالك كلّ البلدان حيث قالت : (قُل اللّهمّ َ مَالكَ المُلكِ تُؤتي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلكَ مِمّنْ تَشَاءُ وَتُعزّ ُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلّ ُ مَنْ تَشَاء) وليس الحكومات فقط وليس العزّة والذلّة بل (بِيَدِكَ الخَيرُ انّ َكَ عَلى كلّ ِ شَيء قَديرٌ)(2). وقدرة ا عزّوجلّ على كلّ شيء هي ـ في الحقيقة ـ دليل حاكميته على الأرض والسماء . ومن الواضح أنّ لمالكية ا بُعداً عامّاً وحقيقيّاً ، في حين ما جاء في المورد الآخر في جملة (تؤتي الملك من تشاء) يكون له بعد جزئي ومجازي . ولا دليل على تحديد مفهوم الآية بفتوحات الرسول الأكرم ((صلى ا عليه وآله وسلم)) أو عزّة المؤمنين وذلّة اليهود وما شاكل ـ كما يعتقد بعض المفسّرين ـ بأنّ َ للآية مفهوماً واسعاً يشمل كلّ الحكومات وكلّ عزّة وذلّة ، وما قالوه فهو من مصاديقها الواضحة ، والجملة الأخيرة (انّ َكَ عَلى كلّ ِ شَيء قَديرٌ) هي في الواقع بمثابة الدليل على هذه المالكية الإلهية العامّة والمطلقة . وواضح أنّ المشيئة والإرادة الإلهية التي إستند إليها في هذه الآية لا تعني أنّ ا يعزّ أو يذلّ أو يعطي الحكومة ويسلبها بدون حساب ، بل أنّه وضع في عالم الأسباب مجموعة من عوامل النصر والهزيمة وهي مظاهر مشيئة وإرادته .

_____ 1 ـ مجمع البيان : المجلّد2 / ص427 ، وتفسير الفخر الرازي : المجلّد8 / ص4 . 2 ـ قال بعض اللغويين : الخير والإختيار لهما مادّة واحدة ، والحسنات خير لأنّ كلّ إنسان يختارها (التحقيق ، المفردات ، تفسير الميزان في ذيل آية البحث) .